الكتاب الجديد

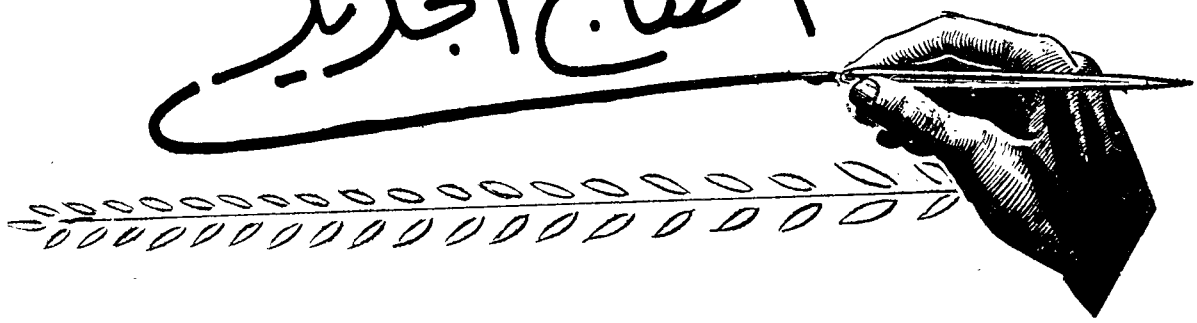

لكي نفهم القضية

تأليف محمد احمد نعمان

مطبعة السلام ، عدن ٥٦ صفحة

هذا كتاب جديد عن قضية اليمن ، أو هو احدث كتاب من سلسلة الكتب الفكرية العديدة التي يؤلفها مناضلو الجنوب العربي بين الفترة والاخرى دون ان تلاقي مجهوداتهم الضخمة اي مردود عاجل من الرأي العام العربي ، ودون ان تجد تضحياتهم الجبارة أي صدى ذي اثر فعال في توضيح خط خطير من خطوط القضية العربية المعاصرة . وليس سبب هذا الفشل الذي يحصده اليمنيون الاحرار من مجهوداتهم وتضحياتهم ـ وهو فشل مؤقت على كل حال ـ أنهم لا يملكون الاداة التعبيريةالجيدة التي تجعل ابناء الاقطار العربية الاخرى يفهمونهم فيؤازرونهم ، فهم ذوو امكانيات تعبيرية رائعة ـ والسيد النعمان مؤلف هذا الكتاب من ادباء الجنوب المرموقين ، وقد كان ممثلا لليمن في مؤتمر الادباء العرب في دمشق ـ . وانما سبب فشلهم في اكتساب الرأي العام العربي اليوم هو ان مراكز الاشعاع العربي من حيث الدعاية والصحافة والاذاعة ما زالت متركزة في الاقطار الشمالية المحيطة بفلسطين ، والتي ذاقت من ويلات الاستعمار ونكباته ما جعلها تجند كل امكانياتها وذخيرتها المادية والفكرية والبشرية لمحاربة الاستعمار الخارجي ومناضلته ، وبالتالي تجنيد كل وسائل الدعاية لديها في معركة التحرر العنيفة هذه . وكانما قد أدى هذا المجهود المستمر الى استنتاج منطقي وصل حد البداهة والمسلمات لدى الشعب العربي الا وهو أن الجنة هي في الاقطار التي لا استعمار فيها . وهنا يقول احرار اليمن : لقد ظلمتمونا ... ان هذه « الحقيقة الخالدة » لا تنطبق على اليمن .

ومن الكتب والمنشورات العديدة التي يصدرها أحرار اليمن يدرك المرء عن قناعة تامة ان بلاد اليمن التي كانت اول قطر عربي تحرر من الاستعمار لا زالت حتى اليوم آخر الاقطار العربية في مضمار الحضارة والمدنية والمعيشة العادلة ، لا بل ان الشعب العربيفي اليمن قد حرم من انسانيته نتيجة للاوضاع الاقطاعية اللاهوتية المتحكمة فيه على شكل نظام ملكي فاسد متعفن مجرم .

يقول الاستاذ النعمان ، ان كل يمني حر يناضل لخلق « حركة شعبية تهدف الى اقامة حكم دستوري يكفل لشعب اليمن الرخاءوالتقدم حتى يستطيع ان يحتفظ لبلاده بمكانة كريمة تتفق وسالف مجدها التاريخي التليد وتسهم في بناء الامة العربية مساهمة فعالة نظرا للامكانيات المادية المذخورة والقوى البشرية الموجودة ، ثم لتعمل معالبلاد العربية بما لها من ستراتيجية هامة في الشرق الاوسط على موازنةالقوى العالمية القائمة اليوم » .

اذن فالمسألة ما زالت في حدود «المناداة بتشريع دستور » . ويحق للمرء ان يتساءل عما اذا كان لا يزال في العالم اليوم مفازة مجهولة تطالب بدستور للحكم غير اليمن . وفي اعتقادنا أنه حتى البلاد التي يلعنها الاستعمار بحكمه الوحشي يوجد دستور ولو كان صوريا ، وتوجد مدارس وان كانت خادعة في تعليمها ، وتوجد مؤسسات حكوميةومنظمات اجتماعية وتوجد كل « مظاهر » الحضارة .. ومهما كان الاستعمار بشعا ومخيفا في خنقه للحركات الوطنية ، فان هذه المؤسسات الحضارية تفعل فعلها وتؤثر في تطوير الشعب المصاب بالنكبة وتجعله جديرا بأن يقفز ببلاده الى المستوى العصري اللائق منذ ان يحرر ذاته بالنضال . أما في اليمن « الحرة » فليس ثمة شيء من هذا اذ كانت لعنة الحكم الملكي قائمة على دعائم اقطاعية لاهوتية فيها أشد وحشية من لعنة الاستعمار. وما يزيد المرء ايلاما ان الانقلابات العديدة التي قامت في السنوات الاخيرة هناك لم تقم على اسس شعبية ولم تهدف الى بناء دولة حديثة تستطيع مجاراة العصر وانما كانت تعبيرا عن اطماع في الملك مرتكزة ايضا على عقلية اقطاعية لاهوتية .

ولكن الحاكم لا يستطيع ان يسهر بحذر دائم على قفل سجن الجهل الكبير الذي حشر فيه خمسة ملايين مواطن . فالذين تسربوا الىالخارج ، وشاهدوا دنيا اخرى ، ودرسوا وتعلموا في مصر وعدن والحبشةوالهند ، اصابهم الذهول حين عادوا الى بلدهم فوجدوا شعبهم ما زال يتخبط في خدر « القات » المسمم للعقل والجسد ، وان الاجتماعات محظورة ، والجاسوسية منتشرة ، والبريد لا يؤمن ، والصحافة لا توجد ، وتضارب المصالح ، والتهافت على الوظائف الحكومية لضيق اسباب الرزق » .. لا مدارس ، لا قوانين ، لا دستور ، وجهل أسود واتهام بالزندقة لكل من« يكتب بأساليب جديدة خارجة على السجع ، أو يطالع

كتابا لطه حسين ».

ويقول واحد من هؤلاء المتنورين الذين كانوا قد عاشوا عصرا جديدا خارج سجن الجهل الكبير : « تلفتنا الى من حولنا في الداخل نتحسس ونتلمس لعلنا نجد من يشاركنا الالم ويحس بما نحس به ويشعر بوجوب العمل لتخفيف محنة الامة فوجدنا الكثيرين يتألمون سرا وجهرا ،ويتفجعون من سوء المصير . الا انهم لا يشعرون بأن عليهم واجبا يقتضيهم معالجة هذا الالم او التفكير في علاجه . واذا وجد من يفكر بالعلاج ويرى وجوب العمل فانه يكتفي بالاماني فقط ، واما العمل والتضحية فلا يخطران له على بال . وآنذاك لم نر بدا من الهجرة » . وفعلا هاجر المتنورون ، او هاجرمنهم كل من استطاع الهرب بجلده ولم يجازف بهدر دمه رخيصا . ومن هؤلاء المهاجرين تكونت جماعة اليمنيين الاحرار او الاتحاد اليمني او سمهم ما شئت فهم قريبون منك في أي قطر عربي كنت ، وهم قد نظموا انفسهم خارج بلادهم وأخذوا يعملون . والكتاب الذي بين ايدينا هو سرد تاريخي لموقف هؤلاء المهاجرين من حوادث اليمن التي وقعت في السنوات الاخيرة . ويزعم المؤلف ان كتابة سيمررنا « بالمراحل الفكرية التي مرت بها القضية الدستورية في هذا الجزء من الوطن العربي .. ومدى التطور الذي وصلت اليه الحركة الشعبية » .

والواقع ان الكتاب جاء خاليا من «المراحل الفكرية » وبعيدا عن « القضية الدستورية » وبريئا من البحث او التلميح الى أية « حركة شعبية » . وانما جاء سردا للمناورات السرية والعلنية التي كانت تدور بين زعماء اليمنيين الاحرار وبعض « السيوف المثلمة » وقادة الجيش الطامعين في المناصب الاكثر رفعة .وأجرؤ على القول ان هذا الكتاب يظهر بوضوح للقارىء اللبيب ان اليمنيين الاحرار ـ على ما لهم في قلوبنا من احترام وتأييد ـ قد زادوا في قضية اليمن تعقيدا وضاعفوا من مآسيها وعرقلة تطورها نتيجة لسلوكهم المنحرف في معالجتها فتخليص شعب من مثل هذه الاوضاع المذهلة في سوئها وظلمها ورجعيتها لا يكون بالمناورات السياسية وتأليب سيف ـ أي امير حاشاك ـ على سيف ، وتأريث حقد قائد على آخر ، والنتيجة الحتمية كانت دائما ضريبة دموية عنيفة على حساب الابرياء المساكين ، وانما تخليص الشعب العربي في اليمن من تحكم الاوضاع الرجعية القاتلة فيه يكون بالعمل النضالي الطويل الامد القائم على بعث شعبي وطرح شعارات انقلابية جذرية يؤمن بها الشعب ويتبناها ويتمسك بها ويستميت لتحقيقها . وآنذاك يحق لقادة الاحرار ان يجوبوا الاقطار العربية ، لا بل اقطار الارض، داعين لتأييد قضية شعبهم العادلة ، موضحين حقيقتها وأهدافها .وهذا ما حدث في الجزائر ، وهذا ما يجب ان يتعلمه اخواننا احرار اليمن السعيد . أما ان نفرغ البلاد بارادتنا من قادة تحررها التقدميين ونتركها مزرعة مفتوحة للحاكم واعوانه ونظامه الرجعي اللاهوتي ، ونؤثر على قضية شعبنا عن بعد ـ بطريق التلباثي او الاشعاع .. لا ادري ـ ، ونشغل بلوم الحكومات العربية المتحررة لانها لا تجند اجهزة دعايتها لفضح الحاكم وطريقة حكمه ، فهذا لن يحل قضية اليمن . وحتى لو استطعنا أن نضع لنا اصبعا في انقلاب عشائري ، ونجح الانقلاب ، فان اليمن لن تستفيد منا نحن احرارها البعيدين عن شعبها ، ولن تتغير اية ظاهرة اجتماعية وتتحول لخير الديموقراطية ، لان البلاد ستظل آنذاك بحاجة الى قادة شعبيين .

الخليج العربي

شريف الراس

الطبقات الكبرى لابن سعد

نشر دار صادر ودار بيروت للنشر

جزى الله الدارين كل خير ، حين انطلقتا من مجال النشر الضيق الى المجال العالمي الواسع ، وتنازلتا عن محض الربح المادي لاكتساب محض الربح المعنوي . والحق يقال انها لخطوة جريئة اقدم عليها اصحاب الدارين حين اخرجوا للعالم العربي « لسان العرب » في اجزاء صحيحة متعاقبة تجاوزن الستين . وقد انجزوا هذا العمل في الوقت الذي وجدت دور النشر الاخرى في هذه الخطوة الجريئة الموفقة « خطوة انتحار » .

واليوم ،تنطلق هذه الخطوة في مدى أوسع ، لتحقق نشر آثار اخرى من تراث العرب الذي يتناول كتب السيرة والتاريخ والفلسفة الاسلامية على طريقة الاجزاء المتلاحقة ، ليسهل على كل قارىء اقتناؤها ، وضمها الى مكتبته الخاصة ، بعد ان كانت من نصيب كبريات المكاتب العامة .

وفي طليعة هذه الآثار المرموقة كتاب « الطبقات الكبرى » لابن سعد ، مقلدا بمقدمة تحليلية للاستاذ احسان عباس ، تعين خطوط الكتاب ، وتجلو من حياة صاحبه ، وتبين مميزاته ، وفضله على من جاء بعده من كتاب التاريخ والسير .

ومن الغريب جدا ان هذا المؤرخ الكبير الذي ندين له بالكثير من الاخبار الصحيحة ، والنظرات المصيبة ، والذي أمعن كثيرا في تخطي الشخصيات لدراستها ، ونقل ملامحها وآثارها ، بخل عليه المترجمون بعده بترجمة وافية عن حياته . وكل ما جاء عنه سطور مبعثرة في كتب التراجم في الحين الذي غصت هذه الكتب بالاخبار التي رواها ، والمعلومات التي استقاها . فيا لها من شمعة اضاءت لكل من استصبح بها الطريق ، ولم تستطع ان تضيء لنفسها ! ولكن فضل هذا المؤرخ يأبى الا ان يظهر في كل اثر جاء بعده من آثار التاريخ ، وبذلك يعد ابا من الاباء في التاريخ ، ويعد كتابه مرجعا من المراجع الثابتة التي لا يستغني عنها دارس يريد التثبت والتمحيص .

وهو ، كغيره من المؤرخين المسلمين يجعل من السيرة النبوية رأس تاريخه ، باعتبار ان الاسلام انشأ عالما جديدا ، وتطورا جديدا يصح معه أن يجعله « بداية تاريخية خطيرة » . والذين كتبوا تاريخ السيرة كثير ، ولم يسبق ابن سعد في كتابتها الا استاذه الواقدي الذي ألف ايضا كتاب الطبقات . وان دل توافق الاسم على شيء ، فانه يدل على مدى تعلق التلميذ بأستاذه ، واعتماده في أخباره على اخباره .ولكن هذا ما كان ليدل على تقليد ابن سعد ، ووقوفه عند حدود النقل ،بدليل ما اجد في طبقاته من مباحث غير واردة اصلا في طبقات الواقدي . ولذلك كان من الحق وغير الحق أن يزعم ابن النديم « ان ابن

سعد الف كتبه من تصنيفات الواقدي))ففيهمنالواقدي الشيء الكثير ،وفيه من نفسه الشيء الكثير. والذي نعتقده حمل ابن النديم على ان قال من قال « تشابه الطريقة والسيرة والترتيب » وهو تشابه متكرر عند اكثر الذين كتبوا التاريخ الاسلامي ، يدفعهم الى ذلك « روح القدسية »التي كانوا ينظرون من خلالها الى كل عمل من أعمال الاسلام . وبذلك ،تقل النظرة الابداعية ، والنقد المجرد الشخصي فيما يرون ، فيجعلون همهم السرد والرواية لحوادث لا يجدون الى تحليلها سبيلا ، وهو عندما تتكرر الرواية يجتزىء من اسنادها ، ويقلل من مصادرها ليحمل نفسه على الايجاز المفيد الذي يفضله على التطويل المعقد .

أما السبب الذي حمله على تسمية الكتاب « بالطبقات » فيعود الى الطريقة التي آثرها في تقسيم الرجال الى طبقات من الناس . كل طبقة تلي طبقة ، وكل جيل ينعزل عن جيل . وهذه « الطبقة » شملت كثيرا التراجم في تاريخنا السياسي والادبي خاصة . ومن ذلك « طبقات الشعراء » لابن سلام . وقد فات المؤرخين ان ما صح في الادب قد لا يصح في السياسة . ولكنهم هكذا رأوا ، وتلك الطريقة اختاروا . ومتى انتقى المؤرخ لنفسه هذه الطريقة فهو مقيد ، اذا ، بقيود الزمان والمكان دون أن ينتبه لمنطق الحوادث ، وترابط الوقائع . وصاحبنا ابن سعد اتبع طريقة الزمان في كتابته ، وهي الطريقة المتبعة عند أكثر من أرخوا . فكأن الدولة عندهم انسان يؤرخون له حوادثه وأعماله يوما فيوما ، وعاما فعاما ضمن مذكرات تتابع بالسماع والرواية .وبذلك ، أراهم ـ كما اعتقد ـ يهيئون مواد التاريخ ، ولكنهم لا يكتبون التاريخ . وهذه نظرية جريئة اقذف بها للذين يهمهم امر التاريخ ليجادلوها ويناقشوها . وهذا ابن خلدون نفسه الذي « فلسف جوهر التاريخ »لم يستطع ان يفلسف وقائع التاريخ في تحليله المبتكر الرائع .

وعلى حدود هذه النظرة نرى ابن سعد يكتفي بالنقل الامين الثابت للحوادث ، والنقل الامين عدة محمودة عند المؤرخ لانه يدل على التجرد الذي يحرره من الرغبة والرهبة ، والطمع والخوف . وهذا النقل هو ما تسعى المحافل العلمية الى تسميته « بالموضوعية » . ولكنالموضوعية الحقة لا تكتفي بمجرد النقل ، والاحتماء به . فهناك شخصية المؤرخ التي تطل على الحوادث ، وتربط ما بينها ، وتعلل تساوقها وتلاحقها . فاذا استطاع المؤرخان يفرض شخصيته على منقوله بتجرد ونزاهة كان مثال المؤرخ الحقيقي . ولكن ـ الشخصية ـ في طبقات ابن سعد ، وفي غيرها كانت مفقودة او شبه مفقودة . ولعل الحوادث المتشابكة نفسها كانت تفرض على المؤرخ ان يتجرد من شخصيته ، ويكتفي بما يورده وفق الحقيقة على قدر المستطاع .

وكتاب الطبقات ـ كما رأينا ـ أميل الى تأريخ الرجال ، كأن يعتبر ان تاريخ الامة يكتبهرجالها ، وتلك نظرية قديمة شائعة في كثير من كتب السير والتراجم ، حين كان الملك رسالة مقدسة . فهو قاعدة الهرم وكل شيء يذهب في العلو انما يصدر عنه . فالأمة في ركابه ، وليس الرجل في ركابها . ومع ذلك يستطيع المؤرخ المحلل ان يصل الى تحليل عميق لسيرة الامة عن طريق دراسة سيرة رجالها . وقد تصدق هذه السيرة نوعا ما اذا كان ناقل السيرة متجردا ، موضوعيا ، بعيدا عن التزلف والاستجداء ، شأن ابن سعد في طبقاته .

ولعل العيب الوحيد الذ يناخذه على صاحب الطبقات اطنابه في نقل سير الرجال السابقين عن غيره ، حتى اذا تناول رجال عصره ضن بالتصريح ، وبخل بالتوضيح . كأنه يريد ان يترك الحكم عليهملغيره .

لانه شاهد عيان . والمؤرخ الحق يستنطق الحجارة الحقيقة ، فكيف الان شاهد عيان . والمؤرخ الحق يستنطق الحجارة للحقيقة ، فكيف يفض عن استنطاق الاحياء وهم بينيديه على مرأى منه ومسمع ؟ ومن اجل خاصة النقل في الكتاب رأيناه مظهرا واسعا دقيقا لعلم الرجلفي الحديث والفقه والادب . وكل هذه الاشياء قد تعد روافد ذات قيمة في كتابة التاريخ ، ولكنها ليست التاريخ ذاته . على أن هذا لا يجعل الكتاب خلوا من بعض الانعكاسات الاجتماعية التي تتخايل بين الحين والحين في بعض صفحاته ، فتأتي هذه الانعكاسات صورا صادقة لحياة الامة في تلك العصور .

اما طريقة الاداء فهي شاهد غني على ما يتصف به قلم صاحب الطبقات من ادب غزير ، وتعبير حي ، يهز الضمائر كثيرا . وبعض ما كتبه كالواح فنية يمكن اعتباره من القطع الادبية الخالدة . وبذلك كان كتابالطبقات الضيف اللازم للمؤرخ والاديب على السواء ، لان كليهما يجد فيه حاجته ومتعته الفنية .

وقد بدأ كتاب الطبقات يحتل مكانته الحديثة منذ مطلع القرنالحاضر، حين أقبل عليه عدة مستشرقين من الالمان ، وبدأوا يطبعونه سنة ١٩٠٣ معتمدين على ما توفر لهم من نسخ مخطوطة . ولكن هذه الطبعة بقيت عزيزة ، محدودة لأهل الخاصة ، لا تملكها الا المكاتب الكبرى . وقد ارادت دار صادر ودار بيروت نشره من جديد في طبعة ذائعة ، يستفيد منها كل قارىء ، ويقتنيها كل راغب ، فأقبلت على طبعه اجزاءمتعاقبة ، يسهل اقتناؤها . وبالرغم من هذه الغاية جاءت الطبعة علمية،صحيحة ، بعيدة عن روح الاستغلال . فأهلا بهذا النشر ، وشكرا جزيلا لهذهالجهود في احيا ءالقديم ، وتوطيد الجديد .

حلب — **خليل الهنداوي**

اضواء على القضية الجزائرية

تأليف الاستاذ ابرهيم كبه

مطبعة الرابطة ـ بغداد ٢٠٠ ص

في معركة الانسان العربي ضد ظلاميانه والدخلاء عليه ، تتألفسمفونية نضال الجزائر العربية البطلة اروع ما يكون التألق ، مساهمة بذلك في اثراء الكفاح الانساني والكفاح العربي بمكاسب وانجازات عظيمة القيمة والدلالة والمعطى .

وما من شك في ان الكتب التي تعالج هذه السمفونية الجبارة ، هي في عميق التمحيص والنقاش ، مكسب آخر من مكاسب هذه الملحمة العربية البطولية ، سيما ان كتبت بتجرد علمي موضوعي وبروحانسانية جدلية ...

وبعد ان تظاهر مفكرو فرنسا الاحرار في باريس دفاعا عن انصار الحرية والنور العرب في جزائرنا العملاقة ، بعد ان تظاهر سارتر وماسينيون وغيرهما ، توجب علينا نحن المهتمين بالفكر العربي والانساني ان نقيم تظاهرتنا الجبارة ولكن على مستوى الديمومة ، وفي صعيد الاخوة الانسانية ، وبالافادة من المرونة العلمية وعروق الضيائية والصراعية العربية التي زرعتها « ذو قار » فينا منذ كان التاريخ ..

وهكذا ، وبهذه الانطلاقة الباسلة ، نواجه كتاب الاستاذ ابرهيم كبه.. نواجهه بهمة العربي الانسان او بنية المعاونة والافادة والتعاطي وسمفنة اطلاقاتنا ووثباتنا التي جبلت بالعالمية منذ تألق في رحمها نور العلم والفكر .

يبدأ استاذنا كبه فيهدي سفره « الى الحرية والمناضلين عنها في كل زمان ومكان » .. وهذا ، والحق اطيب واروع اهداء متوقع من مفكر عربي يعيش عصره ..

وينثني فيقدم لنا اقتباسات نيرة من عطاء الفكر الانسان عربيا وعالميا .. وهكذا لا يستطيع الاستاذ حتى في صعيد الاقتباس ، الا ان ينغم الكفاح الفكري الجبار في نصرة الحرية باعتبار ان معركة الانسان والحرية والفكر لا تتجزأ ولن تنجزأ ابدا ..

وهكذا فمن :

سندوس اقدام الشعوب كخرقة مهروءة من كان سوط بلاء

للجواهري الكبير الى : « ان اساس كل حكومة حرة هو عدم خضوع اي شعب لاي شعب آخر قانونا ، ولا لأي قانون عدا القانون الذي اختاره هو لنفسه ، وان تتمتع بالسيادة الكاملة في بلاده ، والاستقلال التام من اية سلطة بشرية مفروضة عليه » .

لمارا المفكر الفرنسي الحر الى : « تمسك بالثقة والعدالة تجاه جميع الامم ، ثم السلم والانسجام مع الجميع .. فليس هناك اهم من ازالة النفور الدائم المكين تجاه امم بذاتها والميول العاطفية تجاه الاخرى وليس اهم من استبدال كل ذلك بمشاعر الصداقة السوية مع الجميع »

للرئيس الاميركي واشنطن الى « لن تتكون الانسانية الا بعد ان تفوز كل الشعوب بحقها التام في الممارسة الحرة لسيادتها »

لمازيني بطل الحرية في ايطاليا ، الى «انظر عبر الشعب تدرك الحقيقة»

للمفكر الفرنسي العظيم فكتور هوجو ..

فهل ثمة اروع من هذه المزاوجة الموضوعية الانسانة اقتباسا ؟

نعم ! ان معركة الانسان لا تتجزأ ..

. . .

بعد هذا ينتصب امامنا الفصل الاول ـ الكتاب سبعة فصول ـ وهو في « كلمة اولية في دلالات الثورة الجزائرية » ! واشهد ان هذا الفصل كان فاتحة السفر : اسمع معي التقديم :

« واذا كنا نحن المثقفين العراقيين عاجزين في ظروفنا الحاضرة عن تحويل مشاعرنا الوطنية الملتهبة الى خدمات مادية ملتهبة يستفيد منها اولئك الابطال المغاوير الذين يقاومون كل قوى الاستعمار العالمي المتآمر على وطننا العربي في المشرق والمغرب ، فلا اقل من ان نقوم بأضعف الايمان ، القاء شيء من النور على طبيعة الثورة الجزائرية الكبرى المحتدمة الان ، والكشف عن جذورها الاجتماعية والاقتصادية وبيان القوى المتصارعة في العوالم المحيطة بها ، وتثبيت معانيها ودروسها الكبرى في معركة التحرر العالمية التي تخوضها القوى الوطنية في العالم ضد قوى الدمار والظلام » ص ٧

وليكن هذا العهد محك فصول الكتاب الباقية ، كيما نستطيع ان نتحقق من ان الكتاب قد حقق اهدافه ومن انه قد اسهم في المعركة البطولية وفق الخطة التي اختطها لنفسه ..

ولنستمع ثانية الى كبه يقدم لنا « الحقائق والمعاني الاساسية لثورة الجزائر » ص ٨ ـ ٢١ (ان جوهر المشكلة الجزائرية لا يختلف من حيث الاساس والنوعية عن اية مشكلة من مشاكل التحرر الوطني ضد النظام الكولونيالي المتمم اليوم لنظام الاستعمار الحديث .. انها مشكلة كولونيالية مترابطة الاجزاء متفاعلة الوجوه ، لا يمكن بالمرة فصل جوانبها الاقتصادية الاجتماعية عن طبيعتها السياسية .. ٢ ـ ان الحل الوحيد هو الغاء النظام الكولونيالي ، وانشاء دولة جزائرية ديموقراطية تتمتع بالاستقلال التام والسيادة الكاملة .. ٣ ـ ان الثورة الجزائرية الحاضرة لا تحارب الاستعمار الفرنسي فقط ، بل تحارب مجموع القوى الاستعمارية العالمية التي تسند الاستعمار الفرنسي وتمده بعصبه الحربي ودمه القذر وسلاحه الفتاك .. ٤ ـ ومن اكبر خصائص الثورة الجزائرية ايضا ، ادراكها وحدة نضال المغرب العربي كله ضد العدو المشترك ، وبشاعة الجريمة التي ارتكبها دعاة المصالحة والمساومة في تونس ومراكش مع الاستعمار الفرنسي والاسباني بعقدهم الاتفاقيات الاخيرة معه ووقوعهم في صف (الاستقلال المزيف) المشار اليه اعلاه .. ٥ ـ انها ثورة وطنية من النوع الجديد الذي يتلاءم مع ظروف الاستعمار العالمي في منتصف القرن العشرين ، انها ثورة عامة شاملة تضم كل طبقات الشعب وتعبر عن مطالب ومطامح جميع افراد الامة ، وتقودها جبهة وطنية تحررية تمثل كل الاحزاب الوطنية في البلاد .. ٦ ـ واخيرا وليس آخرا ، لا بد من الاشارة الى ان من اكبر الحقائق التي يجب ان يعيها القارىء العربي ويستوعبها تمام الاستيعاب كما وعاها واستوعبها جميع الاحرار في العالم ، هي ان القضية الجزائرية لم تعدم انصارا احرارا من مفكري وساسة وعلماء فرنسا نفسها . هذا بالاضافة الى موقف اكثرية الشعب الفرنسي الساحقة ضد الاستعمار عدوها الالد ».

أرأيت كيف ان استاذنا كبه لم يعدم الموضوعية العلمية حين الم بعمق شمولي رائع بسائر دلالات وحقائق ومعطيات ثورتنا الانسانة في الجزائر؟.. ولا اعتقد ان في ذلك عجبا ، بعد ان رأينا الكتب التي قدمها كبه لنا في سالف السنين واخص منها « نظرة سريعة في تطور النظام الاقتصادي مع مقدمة في التفسير العلمي للتاريخ » و « ازمة الفكر الاقتصادي ـ معرب عن الاستاذ دنيس ـ » و « ازمة الفلسفة البرجوازية ـ معرب عن لوكاش » .. انها قافلة هدارة لشلال الموضوعية الموسوعية لفكرنا العربي الحديث عبر احد رواده .

ومن الحسن ان اقبس تصريح المجاهد الجزائري مرزنة الذي اثبته كبه : « ان المشكلة الرئيسية التي تمخض عنها الفتح الفرنسي في الجزائر انعكست مباشرة في القضاء المنظم على الاقتصاد الجزائري واقامة الاقتصاد الاستعماري تدريجيا محله . ان الاستعمار الاقتصادي الذي يئن تحته الشعب الجزائري ما هو الا نتيجة حتمية لاستعباده الكولونيالي » .

وذلك لكي نواجهه ببيان اللجنة الادارية لحزب الشعب الفرنسي (الذي نشرته لوموند في ١٧ ـ ٥ ـ ٥٦) واثبته استاذنا ايضا : « ان الاعتراف الفوري بالواقع القومي في الجزائر والغاء العلاقات الاستعمارية ـ الكولونيالية ـ المفروضة بالقوة على الشعب الجزائري هما السبيلان الوحيدان المؤديان الى حل حقيقي للمشكلة يتفق مع مصالح الاكثرية الساحقة من الجزائريين والفرنسيين معا . ان السلام لا يمكن ان يعود ابدا لتلك البلاد ما لم يترك للجزائريين وحدهم حق تقرير مصيرهم بحرية بما في ذلك حقهم في الانضمام للاتحاد الفرنسي او عدمه . »

أتأملت كيف ان الحر الفرنسي أخو الحر الجزائري العربي ... وكيف ان معركة الحرية واحدة .. وكيف ان جذر الجزائر ، مشكلة ، كولونيالي استعماري .. وان القضاء عليها لا يتأتى الا باتحاد ومعاونة وثيقة بين جماهير الشعبين الفرنسي والجزائري .. بالاضافة الى اسهامات شعبنا العربي الجبار والشعوب العالمية كافة ..

• • •

يتناول الفصل الثاني « الاطار العام للقضية الجزائرية » النقاط التالية: « الجزائر في الزمان والمكان ، حقيقة الشعب الجزائري ، العدوان الفرنسي ، السيادة الاستعمارية ، حق الشعب الجزائري في الحياة الحرة والسيادة » .. والحق الذي لا مراء فيه أن دراسة الاستاذ كبه هنا ، جاءت عملاقة طيبة مثلما كانت دراسته عبر الفصل الاول .

وليس لنا ان نناقش الفصل الثالث « جذور ازمة الجزائر » بقلم رولان فارجيه ، معربا عن مجلة (كاييه انترناسيونو) الفرنسية .. ما دام الفصل كله تركيزا واعيا لحقائق ستنتظم الكتاب كله ، وما دمنا سنضطر ، ان فعلنا ، الى الاقتباس الكثير الذي سيكون معه تقديمنا النقدي طويلا .. وطويلا جدا .

والمهم ان المعرب ـ وهو استاذنا كبه ـ قد قدم تعليقات ضافية .. تعليقات اسهمت مع دراسة الاستاذ فارجيه في تفهم جذور المشكلة الجزائرية بصفتها مشكلة كولونيالية .

وباطلالة الفصل الرابع « منهاج الثورة الجزائرية » تطل علينا مجموعة فواحة بكل طيب وبكل خير .. والخير الذي نقصد هو الوعي العربي المسلح ، الوعي العربي الكوني الذي صدح بالاصيل والخالد من الحان الاخوة الانسانية الظافرة عبر تصريحات جبهة التحرر الوطنية الجزائرية والقيادة العامة وممثلي الطلبة الجزائريين في فرنسا وغيرهم .

اما الفصل الخامس فهو معاونة لا بد منها ! معاونة ضرورية في شجب الاستعمار العالمي والفرنسي في الجزائر والفائه كوصمة قذرة في جبين الانسان المعاصر . يتناول الفصل تصاريح مختلفة لممثلي الحكومة الفرنسية في محاولة من الاستاذ كبه لعرض « سياسة ـ الترقيع ـ الاستعمارية ».

ويعيش الفصل السادس مساهما مع الفصل الخامس في عرض «نماذج من الذهنية الاستعمارية الفرنسية » . وان كان الفصل الخامس يعرض سياسة المسؤولين الفرنسيين ، فهذا الفصل يختص بعرض العقلية الفرنسية الرجعية التي لا زالت تعشعش في موطن مارا وروبسبيير . وهنا نسمع من خطاب لبيدو : « ان البحث عن مفاوضين شرعيين في الجزائر ، على غرار ما حصل في تونس ومراكش سيكون خطأ من اعظم الاخطاء ، بل ان المفاوضات مع القتلة وسفاكي الدماء الذين تسندهم الخيانات المستمرة الان ، سيكون جريمة كبرى » لنقرنه بمقال لوبكان الجنرال الجبان : « ان القرار الوحيد الصائب في نظري هو اثارة الحرب بكل الوسائل ، والاستمرار فيها حتى النهاية » .

وبينا نسمع من هؤلاء البيفاوات هذا الهراء ، يرن في العالم صداح الشاعر الفرنسي جاك دبوا : « احي كل البلاد التي لا تقهر ـ احي كفاحك الباسل ـ احي اولئك الذين يثيرون الغضب ـ واولئك الذين غيبتهم الحرب ـ وانشد للاحياء الذين يحلمون وهم واقفون ـ وللاموات الذين يملأ افواههم بالتراب ـ واتلقى في احضاني بالعناق ـ كل المواليد الجدد ـ البازغين في الاعشاش ـ ايه يا مواليد تونس ومراكش ـ ايها الصغار المتألمون ـ ايها الورود المهصورة ـ تحت سياط الجريمة ـ ما زال لكم المستقبل »

وبالمثل تطير في السماء كالصواريخ العملاقة ، نداءات ومقالات وتصاريح احرار فرنسا ، اخوتنا في الكفاح الانسان ضد الكولونيالية العالمية ، فنستمع عبر الفصل السابع الى مقالات برنان وسارتر ومارو وبورديه وستيب وبنشينه وسبيزار وبارا والى بيانات المستشرقين الفرنسيين والى قرار اجتماع شعبي للجنة نشاط المثقفين ضد الحرب في افريقيا الشمالية والى قرار المنظمات الطلابية الفرنسية .

وفيما استمع الى سارتر ، سارتر المتظاهر في الشارع من اجل حرية الجزائر ، وهو يقرر : « ان الانسان لا يستطيع الا ان يكون شقيا في ظل الحراب الفرنسية .. ذلك انه ليس صحيحا ان هنالك مستعمرين صالحين وآخرين اشرارا : هناك مستعمرون وحسب ، فاذا ادركنا ذلك وادركنا لماذا يحق للجزائريين ان يهاجموا سياسيا وقبل كل شيء هذا النظام الاقتصادي والاجتماعي والسياسي . وكيف ان تحريرهم وتحرير فرنسا بالذات لا يمكن ان يخرجا الا من انهيار الاستعمار ...» (نشرته مجلة الاداب الغراء ، عدد حزيران ١٩٥٦)

الى قرار الاجتماع الشعبي الطلابي الفرنسي « نحن المجتمعين في هذه القاعة نطلب وقف الحرب واعادة السلام الى الجزائر فورا ، كما نطلب الحرية والاستقلال التامين لجميع الشعوب الرازحة تحت نير الاستعمار الفرنسي بما فيها الشعب الفرنسي نفسه ! اننا نعلن تضامننا التام مع الثورة الجزائرية الوطنية المحتدمة الان »

ارى اني لا ازال استمع الى الصدى .. صدى الاعصار الفرنسي ـ حقوق الانسان ، والاعصار الروبسبيري في تحرير كل شعب مستعبد ، والاعصار السيني الخفاق عبر لسان دي بوا : « لا البطش يا شمال افريقيا ، ـ ولا القواعد العسكرية ، ـ لا المدن التي نسفت في وحشية ـ ولا الدماء التي تسيل بلا توقف ! ـ كل هذا يا شمال افريقيا ـ لن يقتل فيك الاندفاع الحار »

صدق دي بوا : كل الموت الذي يزرعه الاستعمار العالمي في جزائرنا لن يقتل « اندفاعنا الحار » ولن يقتل انساننا ولن يقتل عروبتنا ...

« فالشعب ما مات يوما وانه لن يموتا ـ ان فاته اليوم نصر ففي غد لن يفوتا » كما يقول الشعر العربي الحق ..

هذه لمحة سريعة في الكتاب بمجموعه ارجو انها قد قدمت «شريطا » لاهم مكاسب سفر الاستاذ كبه .. بقي لي ان اقول ان الكتاب كان يحتاج الى خاتمة ، والى تعليقات اشمل وأضفى والى بعض اغاني شعرائنا المجاهدين في جزائرنا العربية .. ومع ذلك فالكتاب لا زال وسيبقى ينتصب كأروع كتاب موضوعي ألف في قضية الجزائر ..

وبقي علي ان اقول ان الكتاب القى حزمة من النور الانسان ! وليس « شيئا من النور » .. وانه كذلك قام بمعظم ما يمكن ان يقام به تثبيتا للايمان العربي .. وانه ، اخيرا ، سلاح من اسلحتنا الفكرية الطيبة اتمنى ان يقتنيه كل عربي وكل عربية .. اجل .. فلنفتح النوافذ والابواب.. ولنتلق تلقي الحبيب للحبيب هالة « الاضواء » العلمية الوهاجة والنيرة على احدى قضايا انسانيتنا وعروبتنا !

بغداد — **جليل كمال الدين**